مكيالان في الفضاء الرقمي: ضجيج الضفة وصمت غزة

مريم شومان

في الفضاء الرقمي الفلسطيني، لا تحتاج القصة دائما إلى وقت طويل حتى تتحول إلى عاصفة، منشور واحد، مقطع فيديو، أو شهادة عابرة كفيلة بأن تشعل منصات التواصل خلال دقائق، لكن هذا الفضاء نفسه يبدو أحيانا وكأنه يعمل بقانونين مختلفين: ضجيج هائل حين تقع حادثة في الضفة الغربية، وصمت ثقيل عندما تجري حوادث مشابهة أو أكثر خطورة في قطاع غزة.

قبل أسابيع قليلة، هزت حادثة طمون في محافظة طوباس منصات التواصل الاجتماعي، انتشرت القصة بسرعة وتدفقت التعليقات والبيانات، وتحولت الحادثة إلى قضية رأي عام. هنا، من المهم القول بوضوح إن ما جرى هناك خطأ يستوجب المساءلة القانونية، وإن إطلاق النار الذي أدى إلى مقتل الشقيقين سمارة يجب أن يتم التعامل معه وفق القانون وأن يُحاسب الضابط الذي أطلق الرصاص، هذه مسألة لا جدال فيها، ولا ينبغي لأي نقاش أن يحاول تبريرها.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه في الفضاء الرقمي الفلسطيني ليس متعلقا فقط بالحادثة نفسها، بل بما تلاها من ضجيج هائل على المنصات: لماذا تتحول بعض الحوادث إلى موجة غضب عارمة، بينما تمر حوادث أخرى بصمت شبه كامل؟

في قطاع غزة، وقعت خلال الأيام الماضية جريمتان في أقل من أربع وعشرين ساعة، الأولى بحق المواطن أسعد أبو مهادي في مخيم النصيرات، حيث أُطلق عليه الرصاص من قبل عناصر تابعة لحماس بعد أن لم يتوقف عند نداء حاجز داخل المخيم، وبعد أقل من يوم، أصيب المواطن محمد خالد أبو عمرة في دير البلح برصاص عناصر حماس أيضاً، في حادثة قيل إن حالته بعدها أصبحت حرجة، مع تداول معلومات عن تعليمات صدرت للطواقم الطبية في مستشفى الأقصى بعدم تقديم العلاج له.

هذه الحوادث رغم خطورتها، لم تتحول إلى قضية رأي عام على المنصات كما حدث في طمون، لم نشهد العاصفة الرقمية ذاتها ولا موجة البيانات، ولا حملات الغضب التي عادة ما تتصدر الوسوم الفلسطينية، مرّت الأخبار – هذا إن مرت- على استحياء، وتداولها عدد محدود من الناشطين، وغالبية من تحدثوا عنها هم من الفلسطينيين المقيمين خارج قطاع غزة.

هذا التفاوت يطرح سؤالًا أكبر من مجرد مقارنة بين حادثتين: هل أصبح الفضاء الرقمي الفلسطيني يعمل بمكيالين؟

في الضفة الغربية، لا يتردد كثير من النشطاء في انتقاد السلطة الفلسطينية، بل إنّ تخوينها بات في بعض الأحيان الخيار الأسهل والأسرع انتشارًا على المنصات، جزء من هذا يعود إلى حقيقة أن هامش التعبير - رغم بعض القيود- ما زال يسمح بقدر من النقد العلني، وهو ما يجعل المنصات مساحة مفتوحة نسبيًا لطرح الغضب والاعتراض.

لكن الصورة في غزة تبدو مختلفة تماما؛ هناك، بحسب شهادات متكررة من ناشطين وصحفيين، تقع حوادث مشابهة بشكل متكرر ويومي أقلها استدعاء وتهديد وكسر أطراف، وتعذيب مواطنين ومنعهم من العلاج، إلا أن كثيرًا من المواطنين لا يجرؤون على الحديث عنها علنا، الخوف من البطش، أو الاعتقال، أو الإذلال، يجعل الصمت في كثير من الأحيان الخيار الأكثر أمانًا.

لهذا السبب، فإن جزءًا كبيرًا من الروايات التي تصل إلى المنصات يأتي من ناشطين يعيشون خارج القطاع، بينما يبقى الصوت داخل غزة خافتًا أو غائبًا.

الصمت هنا ليس بالضرورة دليل على عدم وقوع الحوادث والجرائم، بل قد يكون انعكاسًا لبيئة يخشى فيها الناس دفع ثمن الكلام.

وهنا تتشكل المفارقة الرقمية: الضفة الغربية تُسمع أصواتها بصوت مرتفع، لأن الناس قادرون على الكلام، بينما يبدو قطاع غزة صامتًا، ليس لأن شيئًا لا يحدث، بل لأن كلفة الكلام قد تكون باهظة.

والمفارقة قد لا تتوقف عند حدود الخوف وحده، هناك أيضًا بُعد آخر يتعلق بالخطاب السياسي، فبعض الانتهاكات التي تقع في غزة يتم إسقاطها من النقاش العام تحت مظلة خطاب "المقاومة"، وهو خطاب يملك حساسية عالية في الوعي الفلسطيني، في المقابل، تُقرأ أخطاء السلطة الفلسطينية في الضفة غالبًا باعتبارها دليلًا على الفشل أو التواطؤ، ما يجعلها مادة جاهزة للاشتعال على المنصات.

بهذا المعنى، يصبح الفضاء الرقمي ساحة تعكس الاستقطاب السياسي بقدر ما تعكس الحقائق على الأرض، بعض القصص تجد طريقها سريعًا إلى الضوء، بينما تبقى قصص أخرى في الظل.

لكن إذا كان الإعلام الجديد قد منح الفلسطينيين منصة واسعة للتعبير، فإنّ التحدي الحقيقي اليوم لا يكمن فقط في القدرة على الكلام، بل في القدرة على الحفاظ على معيار واحد للعدالة، فالقيمة الأخلاقية لأي خطاب حقوقي لا تُقاس بقدرته على انتقاد طرف واحد، بل بقدرته على مساءلة الجميع بالمعيار نفسه.

القضية في النهاية ليست الضفة ضد غزة، ولا السلطة ضد حماس، القضية هي أنّ حياة الفلسطيني أينما كان يجب أن تكون متساوية في القيمة، وأن أي انتهاك لحقه في الحياة والكرامة يستحق القدر نفسه من الغضب والمساءلة.

وفي زمن المنصات الاجتماعية، حيث يمكن لمنشور واحد أن يشعل نقاشًا وطنيًا كاملًا، يصبح السؤال أكثر إلحاحًا: هل نريد فضاء رقميًا يبحث عن الحقيقة، أم فضاءً يكتفي بتضخيم ما يوافق قناعاته وتجاهل ما يربكها؟ هل ما زلنا نملك الشجاعة لننظر إلى كل الانتهاكات بالعين نفسها، أم أن الفضاء الرقمي الفلسطيني بدأ هو الآخر يتقن فنّ الكيل بمكيالين؟.

حربان في زمن واحد: المعركة على الأرض والمعركة على الوعي ...

د. حكمت نبيل المصري *

لم تعد الحروب في العصر الحديث مجرد مواجهات عسكرية تدور على الجبهات وتُقاس بنتائجها في الميدان، بل أصبحت أكثر تعقيداً وتشابكاً. ففي كل حرب معاصرة تقريباً، هناك مستويان متوازيان للصراع: الأول هو الحرب التقليدية التي تدور على الأرض بالسلاح والجنود والدمار، والثاني حرب أخرى لا تقل شراسة تُدار في الفضاء الإعلامي والرقمي، حيث تتصارع الروايات والصور والمعلومات.

الحرب الأولى هي الحرب التي يعرفها الجميع: قصف، ودمار، وتدمير للبنية التحتية، وسقوط ضحايا من المدنيين والعسكريين، وتغيرات في موازين القوة على الأرض. هذه الحرب ملموسة ومرئية، ويمكن توثيق آثارها عبر صور الأقمار الصناعية وتقارير الميدان وشهادات الناجين. وهي الحرب التي تحدد غالباً النتائج العسكرية المباشرة للصراع.

لكن بالتوازي مع ذلك، تدور حرب أخرى أكثر تعقيداً وأشد تأثيراً في كثير من الأحيان: حرب الرواية والوعي. هذه الحرب تُخاض عبر القنوات الإعلامية ومنصات التواصل الاجتماعي، حيث تُستخدم أدوات متطورة مثل برامج التلاعب بالصور والفيديو، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، والجيوش الإلكترونية، من أجل صناعة روايات معينة وترويجها، أو تشويه روايات الطرف الآخر.

في هذه الحرب، لا يكون الهدف تدمير الدبابات أو الطائرات، بل تشكيل الإدراك العام. فالصورة التي تنتشر على نطاق واسع قد تغيّر نظرة ملايين الناس إلى ما يجري، حتى لو كانت الصورة مجتزأة أو مضللة أو مصنوعة بالكامل. ومع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، أصبح إنتاج صور ومقاطع فيديو تبدو واقعية أمراً في غاية السهولة، ما يزيد من صعوبة التمييز بين الحقيقة والتزييف.

الأخطر في هذه الحرب أنها لا تستهدف الخصم فقط، بل تستهدف الجمهور نفسه. فالمتلقي يتحول من مجرد شاهد إلى ساحة معركة تُخاض داخل وعيه. وفي ظل تدفق هائل من المعلومات المتناقضة، يصبح من السهل دفع الجمهور إلى تبني رواية معينة، أو إلى الشك في كل شيء، وهو ما قد يكون هدفاً بحد ذاته.

كما أن هذه الحرب الإعلامية تؤثر في مواقف الحكومات والرأي العام الدولي. فالرواية التي تهيمن في الإعلام العالمي قد تضغط على صناع القرار، وتؤثر في طبيعة التحالفات، وحتى في مسار العمليات العسكرية. ولهذا لم يعد غريباً أن تخصص الدول موارد ضخمة لإدارة خطابها الإعلامي خلال الحروب، وأن تنشئ وحدات متخصصة في الحرب السيبرانية والإعلامية.

غير أن هذا الواقع يضع المشاهد أو القارئ أمام تحدٍ كبير. ففي عالم تغمره الصور والمقاطع والمعلومات، لم يعد من السهل التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مفبرك. لذلك أصبح التفكير النقدي والتحقق من المصادر ضرورة، لا مجرد مهارة إضافية.

في النهاية، يمكن القول إن الحروب الحديثة لم تعد تُحسم فقط في الميدان، بل أيضاً في الفضاء الإعلامي. فالمعركة على الأرض تحدد موازين القوة، لكن المعركة على الرواية قد تحدد كيف سيتذكر العالم هذه الحرب، ومن سيُنظر إليه باعتباره منتصراً أو مهزوماً.

وبين هاتين الحربين، يقف الجمهور أمام مسؤولية صعبة: ألا يكون مجرد متلقٍ سلبي، بل باحثاً عن الحقيقة وسط ضجيج الدعاية والتضليل.

*** صحفي وكاتب مختص في الشؤون الدولية، وباحث في قضايا العدالة والنزاعات المسلحة**

"مريم" و"عايدة" تغيثان آلاف المحتاجين في بيت لحم

بيت لحم- الحياة الجديدة- زهير طميزة– تقدم تكية "ستنا مريم" في مدينة بيت لحم وتكية "عايدة" في مخيم عايدة ببيت جالا، المساعدة الاغاثية لمئات الأسر المعوزة في محافظة بيت لحم. وقد شملت الخدمات التي تقدمها التكيتان الوجبات الغذائية الجاهزة والطرود الغذائية وملابس الاطفال وحلويات العيد. وتكثف التكيتان أعمالهما في شهر رمضان الكريم.

تكية "ستنا مريم".. أحد عشر عاما من العطاء المتواصل

تحمل التكية التي تأسست عام 2015 اسم والدة رسول المحبة المسيح عليه السلام، وهي أحد المشاريع الخيرية لجمعية "أمان" الخيرية في بيت لحم.

تقول نجلاء الحاج رئيسة الجمعية والمشرفة على عمل التكية لـ"الحياة الجديدة": إن التكية تعمل على مدار العام أيام الاثنين والخميس، لكنها تعمل استثنائيا في شهر رمضان الكريم يوميا، حيث بدأت بـ500 وجبة يوميا عام 2015 لتصل حاليا الى قرابة 5 آلاف وجبة يوميا خلال شهر رمضان، وتشمل خدمات التكية كل جغرافيا محافظة بيت لحم، مستهدفة الأسر الأكثر احتياجا مع التركيز على ذوي الإعاقة والأيتام والمرضى المزمنين، سواء في منازلهم أو داخل المستشفيات، بما في ذلك نزلاء مستشفى الأمراض العقلية.

وفي المجمل تؤكد الحاج أن كل من يطرق باب التكية لا يعود خالي الوفاض أبدا، مشيرة إلى أن عدد الأسر المستفيدة بشكل مستمر من التكية بلغ 1700 عائلة.

خدمات تتعدى الوجبة الغذائية

تضيف رئيسة جمعية "أمان" المشرفة على تكية "ستنا مريم" أن خدماتهم تتجاوز مجرد تقديم وجبة الطعام الساخنة، حيث يتم تقديم طرود غذائية متكاملة للفئات المستهدفة، إضافة إلى كسوة العيد والحلويات وتشمل قرابة 600 طفل، إضافة الى الأدوات المساعدة لذوي الإعاقة مثل الكراسي المتحركة والفرشات الخاصة وغيرها من الاحتياجات الاساسية لهذه الفئة، يضاف إلى كل ذلك الأدوية وكفالات الأيتام وبعض الدعم النقدي أحيانا، بما يشمل الأقساط الجامعية للطلبة المحتاجين.

وبينت الحاج أن طبيعة الخدمة تعتمد على طلب المتبرعين، فمنهم من يفضل تقديم الطعام الطازج ومنهم من يقدم الطرود التموينية وبعضهم يحبذ الكفالات المستمرة لبعض الأيتام، وآخرون يقدمون المساعدات النقدية الفورية لمرة واحدة، والبعض يفضل تنظيم الإفطارات الجماعية للفئات المستفيدة.

وبينت ان المتبرعين الأساسيين عبارة عن مؤسسات خيرية دولية وعربية ومحلية، فضلا عن القطاع الخاص الفلسطيني والأفراد من فاعلي الخير.

وعن العاملين في التكية قالت الحاج: إن عدد المتطوعين الدائمين يوميا يبلغ 17 متطوعا ومتطوعة، فضلا عن عدد من المتطوعين غير الدائمين مثل طلاب الجامعات والمدارس وأعضاء فرق الكشافة والسيدات الماهرات في إعداد الطعام اللواتي تستعين بهن التكية.

بعض المتطوعين والمتطوعات من العاملين في الوظيفة العمومية مثل مكتب المحافظ ووزارة التنمية الاجتماعية وجهاز الأمن الوطني، خاصة دائرة الإمداد التي توفر الدعم اللوجستي للتكية.

وأضافت الحاج أن جمعية "أمان" تنفذ مشاريع تمكينية لتوفير جزء من التمويل الذاتي للتكية بهدف ضمان استمراريتها دون الاعتماد الكلي على المتبرعين، وتشمل مشاريع الجمعية تربية الأسماك والأغنام والبيوت البلاستيكية الزراعية وغيرها من المشاريع الصغيرة المدرة للدخل التي تستهدف تمكين النساء المعوزات.

تكية مخيم عايدة.. متطوعون يدقون أبواب المنازل بحثا عن المحتاجين

يقول د. عبد الفتاح أبو سرور رئيس جمعية الرواد الثقافية في مخيم عايدة القائمة عن تكية "عايدة"، إن سياسة الجمعية تقوم على البحث والتقصي عن المحتاجين والذهاب إلى بيوتهم دون انتظار أن يطلبوا، فالمحتاج عزيز نفس لا يقدم على طلب المعونة في كثير من الأحيان، لذلك "نرفض أي تبرع فيه اشتراط لتصوير المستفيدين".

وبين ان التكية تقدم يوميا بين 500 الى 1000 وجبة افطار متكاملة خلال الشهر الفضيل.

وجاء تأسيس التكية عام 2020 بسبب ظروف وباء "كورونا" والاغلاقات وتزايد حاجة المواطنين الى المساعدة داخل منازلهم، لذا انطلق عمل التكية في رمضان 2020 بهدف تقديم المساعدة مع الحفاظ على سلامة المواطنين واحترام خصوصيتهم وكرامتهم في نفس الوقت، حسب أبو سرور.

يقول أبو سرور: حفاظا على هذه القيم ترفض الجمعية أي تبرع يشترط تصوير المستفيدين أثناء تلقي المساعدة، ولكن حرصا على الشفافية والنزاهة "نقوم بتصوير كل خطوات عملنا باستثناء عملية تسلم المستفيد للمساعدة".

وقدمت التكية في رمضان الماضي 25 ألف وجبة، شملت مخيمات عايدة والعزة- بيت جبرين والدهيشة وبعض القرى، وعددا من أحياء المدن الثلاث (بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور).

ويشير أبو سرور الى أن التبرع الرئيسي للتكية يأتي من أصدقاء الجمعية في فرنسا والولايات المتحدة، عدا بعض المساهمات المحلية كالغرفة التجارية وبعض مؤسسات القطاع الخاص.

وتقدم التكية وجبات إفطار متكاملة تشمل الوجبة الرئيسية والشوربة والحلويات، اضافة الى الطرود الغذائية وكسوة العيد للأطفال، مبينا ان عملية التوزيع تتم من خلال متطوعي الجمعية وعدد من المؤسسات الشريكة في المواقع المستهدفة.

أبو سرور نوه إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية التي يمر بها شعبنا الفلسطيني خاصة بعد عامين من الحرب على غزة والضفة، وتراجع الأوضاع الاقتصادية "لدرجة أن بعض المتبرعين للتكية أصبحوا الآن يستفيدون من خدماتها بسبب تردي أوضاعهم الاقتصادية"، وهو ما يشير الى أهمية الدور التكافلي الذي تقوم به "التكايا" في فلسطين، وضرورة دعمها وتوسيع عملها طرديا مع تردي الأوضاع الاقتصادية.

أجواء مغبرة اليوم.. ومنخفض جوي غدا

رام الله- الحياة الجديدة- توقعت دائرة الأرصاد الجوية أن يكون الجو اليوم السبت خماسينيا ومغبرا وغائما جزئيا إلى غائم، ولا يطرأ تغير على درجات الحرارة، وتسقط الأمطار على بعض المناطق من البلاد، والرياح شمالية شرقية إلى جنوبية شرقية معتدلة إلى نشطة السرعة والبحر خفيف ارتفاع الموج.

وغدا الأحد تتأثر البلاد بمنخفض جوي مصحوب بكتلة هوائية باردة حيث يطرأ انخفاض ملموس على درجات الحرارة وتسقط بإذن الله زخات متفرقة من الأمطار على معظم المناطق قد تكون مصحوبة بعواصف رعدية أحيانا، وتكون الرياح جنوبية غربية إلى غربية نشطة السرعة مع هبات قوية أحيانا تصل سرعتها في بعض الهبات إلى حوالي 60-50 كم/ساعة والبحر مائجا.

والإثنين، يكون الجو غائما جزئيا إلى صاف ويطرأ ارتفاع على درجات الحرارة مع بقاء الجو باردا نهارا وشديد البرودة ليلا خاصة في المناطق الجبلية وتسقط الأمطار على مختلف المناطق من البلاد، وفي ساعات الظهيرة يبدأ المنخفض الجوي بالانحسار تدريجيا، والرياح غربية إلى شمالية غربية خفيفة إلى معتدلة السرعة تنشط أحيانا والبحر خفيف إلى متوسط ارتفاع الموج.

وحذرت الأرصاد، المواطنين الذين يعانون من الربو وأمراض الجهاز التنفسي خلال اليوم السبت من زيادة تركيز الغبار في الجو، كما تحذر خلال تأثر البلاد بحالة عدم الاستقرار الجوي والمنخفض من خطر تدني مدى الرؤية الأفقية، والتزحلق على الطرقات في المناطق التي تشهد هطولات مطرية، وتشكل السيول والفيضانات في الأودية والمناطق المنخفضة، وشدة سرعة الرياح والتي تصل سرعتها في بعض الهبات حوالي 60-50كم/ساعة، وارتفاع موج البحر.